مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الازدواجية في الاستعمال اللغوي
تهديد أم إثراء للعربية الفصحى؟

عبد السلام شرماط
باحث مغربي

2024

- **بحث محكم**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 18 أبريل 2024

جميع الحقوق محفوظة © 2024

الازدواجية في الاستعمال اللغوي

تهديد أم إثراء للعربية الفصحى؟

ملخص:

عني الباحثون في الدرس اللساني بظاهرة الازدواجية في الاستعمال اللغوي في البلدان العربية، فنظر بعضهم إلى أن الازدواجية بين الفصيح واللهجي تشي بالتنوع والثراء، فيما اعتبر آخرون الازدواجية معضلة لغوية لها تأثير على اللغة العربية الفصحى؛ فالمجتمعات العربية اليوم تستعمل إلى جانب اللغة العربية الفصحى نوعيات لغوية تختلف من مجتمع إلى آخر، وهي عبارة - في الغالب الأعم- عن لهجات أسهمت في تطور استعمالها عوامل عدة، يمكن حصرها في الآثار اللغوية التي خلفها الاستعمار، والتغير الاجتماعي الذي يشهده كلّ مجتمع، ولاسيما في فترة ما بعد العولمة، وتطور التكنولوجيا، وشيوع الإنترنيت وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي، والتي ساعدت على ظهور استعمال لغوي أثر على الحقل اللغوي العربي من خلال كتابة عربية بحروف لاتينية، ما يجعلنا نتساءل عن خطورة هذه الاستعمالات وأثرها على اللغة العربية الفصحى.

لذلك، آثرنا الاشتغال في هذه الورقة على أثر الازدواجية في الاستعمال اللغوي على اللغة العربية الفصحى، كموضوع يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، على اعتبار أن وظيفة اللغة هي وظيفة تواصلية بين أفراد المجتمع؛ فقد كثف الدارسون ومنهم علماء الاجتماع، جهودهم لفهم علاقة اللغة بالمجتمع، في إطار ما يسمى بعلم اللغة الاجتماعي، ما دامت اللغة في نظرهم هي ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع تحولات المجتمع وتطوره؛ فاللغة تمنح الإنسان الوجود والحياة، وتؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيراً لا حدّ له، «يمتد إلى تفكيره، وإرادته، وعواطفه، وتصوراته، وإلى أعماق أعماقه؛ أي إن جميع تصوراته تصبح مربوطة بهذا التأثير، ومتكيفة به»[1]؛ أي إن اللغة هي التي تكوّن الإنسان، وليست مجرد أداة يعبر بها عن نفسه، بل هي، أي اللغة، الطبيعة الإنسانية التي تبرز منه في شكل أصوات خاصة معينة لا يمكن أن تكون غيرها، بهذه الأصوات وبما تحمله من شحنات عاطفية وتصورات ومفاهيم وذكريات مشتركة، يتفاهم الإنسان مع من يشاركونه نفس التصورات، ونفس المفاهيم، والطبائع، والتقاليد، والعادات، والذكريات؛ أي مواطنيه، ولو كانوا في قارات أخرى غير قارته.[2]

وانطلاقا من فرضية مفادها، أن الازدواجية في الاستعمال اللغوي ظاهرة تعكس التنوع اللساني، والذي قد يثري المعجم اللغوي الفصيح أو يؤثر عليه، رمنا طرح إشكال يمكن حصره في سؤالين كبيرين:

هل الازدواجية في الاستعمال اللغوي قد يهدّد اللغة الفصحى ويؤثر عليها؟ أم إن التنوع في الاستعمال يعدّ رافداً مهمًّا في إثراء اللغة وتطويرها؟

1- مولود قاسم، **اللغة والشخصية في حياة الأمم**، مطبعة البحث، 1974/1973 ص ص51-52

2- الراجحي عبده، **اللغة وعلوم المجتمع**، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، ط 2، 2004م، ص14

على سبيل البدء:

بحث الدارسون، ومنهم علماء اجتماع اللغة، في الصّلات القائمة بين اللغة والمجتمع، انطلاقا من حال استعمالها بين المتكلمين، وارتباطها بالأشياء والأفكار، وتوزيعاتها الإقليمية والاجتماعية؛ ذلك أن الإنسان يعيش في وسط اجتماعي يفرض عليه التواصل، وتحقيق ما يصبو إليه من أغراض، وما يوافقه داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، على اعتبار أن العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع هي علاقة تأثير وتأثر، حيث تؤثر البنية الاجتماعية في البنية اللغوية، وفق سياق وسلوك معينين، وقد لاحظ ذلك دارسون من خلال تحليلاتهم؛ ومنهم عالم الاجتماع «إميل دوركهايم *Emille.Durkheim*» في أبحاثه عن تأثير البنية الاجتماعية على الأوضاع الثقافية بما فيها اللغة؛ فاللغة تربطها بالأنشطة الإنسانية الأخرى علاقات متبادلة، وأن لها أهميةً كبرى في نشأة المجتمعات الإنسانية واستمراريتها[3]، بوصفها وسيلة اتصال وتواصل بين فئات اجتماعية مختلفة، وهو اختلاف يفرز لا محالة تنوعاً وتعدّداً ينجم عنه تباين لساني، ويختفي معه تجانس لساني موحد؛ فمستعملو اللغة داخل المجتمع الواحد، يختارون ما يناسب المقام، ولكل «مقام مقال»، فلغة الطفل تختلف عن لغة البالغ، ولغة المثقف تنماز عن لغة الأمّي، ولغة المدرّس ليست هي لغة النجار، وكذلك التجار والخبازين والحدادين.[4] وتجدر الإشارة إلى أن أبا عثمان الجاحظ قد صوّر هذا التباين اللغوي في شخصيات بخلائه، حين وقف عند مستويات الكلام وميّز فيها بين لهجات العوام والخواص، فجعل لكل شخصية من شخصيات كتابه (البخلاء)[5] ألفاظها وتعابيرها، ومنطقها ووضعها، والمطابقة لما هي عليه في الحياة، فكلام الناس عنده طبقات، كما أن الناس أنفسهم طبقات[6]، وهو ما يشير إلى

فهمه البيّن أن المستويات المهنية التي يزاولها المتكلمون تمثل لوناً من العلاقات بين اللغة والمجتمع؛ فالغالب أن الكلام الذي يستعمله أصحاب المهن، بما فيه من ألفاظ وتراكيب وأمثال، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات دالّ على عمل صاحبه وعلى طبقته الاجتماعية.[7]

يقول أبو عثمان الجاحظ:

فإن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقيّ رطانة السوقي. وكلام النّاس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل، وكلّه عربي، وبكلّ قد تكلّموا، وبكلّ قد تمادحوا وتعايبوا. فإن زعم زاعم أنه لم يكن في

3- صبري إبراهيم السيد، **علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه**، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 2

4- المرجع نفسه، ص209

5- الجاحظ أبو عثمان، **البخلاء**، (تحقيق طه الحاجري)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة 6

6- هادي نهر، **اللسانيات العربية عند العرب**، دار الأمل للنشر والتوزيع، طبعة الأولى، 1998، ص 154

7- المرجع نفسه، ص 157

كلامهم تفاضل، ولا بينهم في ذلك تفاوت، فلم ذكروا العييّ والبكيء، والحصر والمفحم، والخطل والمسهب، والمتشدّق، والمتفيهق، والثرثار، والمكثار.[8]

فاللغة لا تقف عند حد الاتصال والتواصل، وإنما تسهم في اكتساب السلوك المقبول اجتماعياً، يقول إبراهيم خليل:

عندما يكتسب الطفل لغته الأم لا يكتسب النطق وحده، واستعمال القاعدة النحوية، أو إضافة زوائد صرفية للكلمة، ولكنه أيضا يكتسب معها بعض العادات والتقاليد التي ينبغي أن تراعى عند الكلام، وبهذا الجانب الاجتماعي تتأثر اللغة كثيراً، وهذا الأثر والتأثير موضوع علم خاص هو علم اللغة الاجتماعي socio-linguistics، فنجاح الفرد في استخدام لغته لا يتوقف على الاكتساب وحده(....) ولكن ذلك يتوقف على مراعاة آداب الحديث، واتباع الأسلوب المناسب للموقف...[9]

وبهذا تكون اللغة مكوّناً أساسياً للسلوك الاجتماعي المقبول. وتجدر الإشارة إلى أن الاختلاف في الاستعمال اللغوي، إنما تحكمه شروط جغرافية وسكانية وزمانية، حيث تستخدم كلّ فئة اجتماعية لغتها الخاصة بها؛ فلغة الشباب تختلف عن لغة الأطفال، ولغة البنات تختلف عن لغة العجائز، والاستعمال اللغوي في المشرق ليس كاستعمال أهل المغرب، بل إن الأمر تخطّى ذلك إلى استعمال لغوي تسمه الثنائية والازدواجية؛ فالمتكلم قد يجمع في استعماله بين ما هو لهجي عامي وما هو لغوي فصيح، أو يقترض كلمات من لغة أجنبية ويدمجها بإيقاع عربي في لغته الأم. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ففي ظل التحولات التي يشهدها العالم عموماً، والواقع العربي بشكل خاص، تأثر الناس في زمن العولمة بالتطور التكنولوجي، وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مرآة عاكسة لأفكار ومشاعر الناس، بل إن الأمر تخطى الاستعمال اللغوي مما هو شفاهي إلى كتابة عربية بحروف لاتينية تحت مسمى لغة الفيسبوك، أو عربية سهلة «*ARAB EASY*». ما أدى إلى تعدد الآراء واختلافها بين مؤيد باسم الحداثة والتطور، وأن طبيعة العصر تقتضي ذلك، وبين معارض محافظ ينادي بضرورة الحفاظ على اللغة العربية بوصفها لغة القرآن، ولا يمكن الميل إلى الازدواجية في الاستعمال اللغوي؛ لأن ذلك يقلّل من مكانة اللغة العربية ويضعف مستواها، بدعوى أن اللهجة أدنى مقاماً منها، وبين موفق يرى أن الحفاظ على اللغة هو حفاظ على الهوية، وأن مسايرة العصر أمر يفرضه الركب الحضاري، وعليه وجب الانفتاح على كل أشكال الاستعمالات التي تثري اللغة وتغنيها.

8- الجاحظ أبو عثمان، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، الجزء الأول، باب البلاغة، طبقات الكلام، ص 135

9- خليل إبراهيم، **مدخل إلى علم اللغة**، دار المسيرة، ط1، 2010، ص62

1- في حدود اللغة واللهجة:

إن شرط أيّ بحث علمي هو ضبط المصطلحات وتحديدها تحديداً علمياً، وبما أن موضوع البحث يصبّ في الازدواجية في الاستعمال اللغوي، تقتضي الضرورة المنهجية ضبط مصطلحي لغة ولهجة، مع بيان طبيعة العلاقة القائمة بينهما.

1.1 - اللغة:

مما لا شك فيه أن للغة تعريفات عدة، وضعها لغويون قدماء ومحدثون، ولعل أهم تعريف لغوي قديم يشدّ الانتباه، هو ما وضعه ابن جني[10] في «خصائصه»[11]، ومفاده: «أما حدّها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، حيث ربط اللغة بالمستوى الصوتي، على اعتبار أن الصوت جانب مهمّ في النطق البشري، وباستعماله تتحقق الوسيلة التعبيرية عن الحاجيات والأغراض. والمتأمّل في تعريف ابن جني، سيدرك أن الرجل حدّد وظيفة اللغة في ثلاثة مستويات، تأتي كالآتي:

- مستوى صوتي: ومنه تتشكل الوضعية اللغوية الأولى، وهي النطق، وبما أن الإنسان قادر على النطق، فإنه قادر على التفكير.

- مستوى تعبيري: فاللغة وسيلة تعبيرية يعبّر بها الفرد عن حاجياته وتحقيق رغباته، ويحقق الاتصال مع الآخرين، من خلال التعبير عن أفكاره أولا؛ لأن اللغة مرآة للفكر، وأن العلاقة بينها وبين الفكر هي علاقة ضرورية، وكذلك التعبير عن أحاسيسه ومشاعره في حالتي الحزن والفرح ثانياً.

- مستوى اجتماعي: فاللغة نظام اجتماعي، منه تستمد ديمومتها وحياتها وتطورها، ويكمن ذلك في الاختلاف، فلا يوجد في اللغة سوى الاختلافات، والتي تنشأ بفعل اختلاف الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد، حتى وإن كانت اللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في اتباعه، ويتخذونه أساساً للتعبير عما يجول في خواطرهم.[12]

وفي سياق التمييز بين اللغة والكلام، تناول فرديناند دي سوسير (1857-1913) مفهوم اللغة بالدرس، ونظر إلى اللغة كظاهرة اجتماعية، فهي «نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما، ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة»[13]، حيث استمدّ سوسير فهمه للغة من نظرة إيميل دوركهايم[14] إلى الوقائع الاجتماعية بوصفها ذات طبيعة عامة وليست فردية، وبما أن اللغة لا ترتبط بشخص

10- ولد في الموصل، وكان اختلاف في تاريخ ولادته بين قائل 302 هـ، وقائل 321-322 هـ، توفي عام 393هـ.

11- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، دار الكتب المصرية، تحقيق محمد علي النجار، الجزء 1، المكتبة العلمية، ص33

12- حمداوي جميل، **اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي**، دار الريف للطبع والنشر، الناظور- المغرب، ط2، 2020، ص9

13- دي سوسير فرديناند، **علم اللغة العام**، (ترجمة يوئيل يوسف عزيز)، دار آفاق عربية، بغداد، 1985، ص27

14- فيلسوف فرنسي، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث (1858-1917).

واحد أمكن النظر إليها كظاهرة عامة. ومن ثمة، انطلق سوسير في درسه للغة كظاهرة اجتماعية عامة، وفق ثلاثة مصطلحات تتصل بالكلام اللّساني:

- ✓ الكلام (parole)، وهو نشاط فردي ناتج عن وعي؛
- ✓ اللسان (langage)، يجمع بين ما هو فردي واجتماعي؛
- ✓ اللغة (langue)، وهي جزء محدد من اللسان البشري، ونتاج اجتماعي لملكة اللسان؛ يقول: «إن اللغة la langue جزء محدد من اللسان langage مع أنه جوهري، وهي نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة».[15]

وعلى ضوء هذا، يرى سوسير أن اللغة التي يتكلم بها الفرد داخل مجتمع ما، هي جزء من اللغة العامة التي تشمل جميع البشر، كما أنها نتاج اجتماعي تحكمه قواعد مشتركة داخل جماعة لغوية.

وبما أن اللغة حقيقة اجتماعية، عني سوسير بالبحث في الاستعمالات اللغوية الجارية بين الناس، فوجد نفسه مواجهاً بظاهرة الاختلافات الفردية في استعمال اللغة، حيث إن الناس تختلف استعمالاتهم اللغوية تبعاً للمواقف التي تحيط بهم،[16] ومن ثمة كانت مسألة الاختلاف في الاستعمال اللغوي، وأن اللغة تتأثر بمنزلة المتكلمين الاجتماعية وموقعهم الطبقي في المجتمع؛

فالتفاوت الخاضع لمعايير اقتصادية أحياناً ولمعايير النسب والعشيرة والقبيلة يؤثر في اللغة المشتركة، فتسودها سمات من التفاوت. وقد يتسع هذا التفاوت كثيراً لدرجة تظهر عندها لغة خاصة من تلك اللغة المشتركة بعيدة عنها شديدة الانحراف في مستويات الصوت والمدلول وربما التركيب النحوي، مثلما يؤدي ازدياد التفاوت الطبقي إلى تباعد اللهجات بعضها عن بعض.[17]

واستعمال اللغة المشتركة يصاحبه استعمال لهجي، يتم به تحقيق الحديث اليومي في المنازل والأسواق والأماكن العامة، وهو استعمال يتغير بتغير الأجيال والأحوال.

2.1 - اللهجة:

اللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية التي يشترك فيها أفراد بيئة واحدة، ولها خصائص تنماز بها عن اللهجات الأخرى؛ فهي طريقة من طرائق الأداء اللغوي التي يحقق بها الفرد تواصله في بيئة اجتماعية خاصة، وقد عرّف إبراهيم أنيس اللهجة بقوله: «اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات اللغوية جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من

15- *Ferdinand de Saussure,* ***cours de linguistique générale****, GENEVE,2005, p. 12*

16- الكواز محمد كريم، **علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات**، الطبعة الأولى، 1426، ص ص 63-64

17- خليل إبراهيم، المرجع نفسه، ص65

بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات».[18] وبالتالي، فإن اللهجة هي طريقة تختلف باختلاف المناطق الجغرافية، حيث يتعدد ويتنوع استعمالها من منطقة إلى أخرى، ولو كانت هذه المناطق كلّها في رقعة جغرافية واحدة، ولا سيما بعد انتشار وسائل الإعلام السمعية والبصرية وما لها من تأثير على ما يسمعه الناس (مثلا استطاعت اللهجة المصرية أن تؤثر في أسماع مشاهدي الأفلام والمسلسلات، وأصبح المشاهدون غير المصريين من أقطار الوطن العربي يتلفظون بعبارات مصرية...)، وزاد من ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، التي احتضنت لهجات عديدة، منها المصرية والتونسية والمغربية والخليجية؛ فكل لهجة من هذه اللهجات تسلك في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسألة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها....[19]

وبذلك، أخذت اللهجات تتفرع، وهي تتبع منهجا يختلف عن منهج غيرها بفعل الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية، وكذلك التحولات التي شهدتها كل بيئة جغرافية.

وانطلاقا مما تقدم، نتساءل عن طبيعة العلاقة بين اللغة واللهجة؟

3.1 - اللغة واللهجة وحدود العلاقة:

إذا كانت اللغة هي مجموعة من القواعد المشتركة، فإن اللهجة هي طريقة من طرائق الأداء اللغوي، يقول تمام حسان: «إذا كانت اللهجة كلاماً، فاللغة هي الأسس التي تراعى في النطق باللهجة، فاللهجة شكل من أشكال تنفيذ اللغة، واللغة مجموعة من الشروط والقواعد التي تراعى في إحداث هذا الشكل».[20]

وتشير بعض المعايير إلى الحدود المميزة للغة عن اللهجة، ومنها معيار التفاهم المتبادل؛ فإذا استعصى تحقيق هذا المعيار، فإن الأمر يتعلق بين لغتين، (هند تأكل/*HIND mange*)، وليس بين لغة ولهجة. أما إذا تحقق معيار التفاهم مع بعض الاختلاف في الصوت والتركيب، فإن الأمر يتعلق بين لغة ولهجة، (مثال: جاء أحمد/ أحمد جا). إن العلاقة التي تربط بين اللغة واللهجة هي علاقة الجزء بالكل، فاللغة وعاء اللهجة، والأخيرة رافدٌ مهم لها؛ فوظيفة اللغة واللهجة واحدة تتمثل في تواصل الخطاب بين اثنين أو بين الجماعات البشرية، فإذا كانت اللهجة كلاماً، فاللغة كلام، وإذا كانت اللغة أداة يعبر بها عن حاجيات ومتطلبات الفرد أو الجماعة، فاللهجة هي الأخرى تلعب نفس الدور مع فارق يعده القدماء كما جاء سالفاً انحطاطاً لغوياً، ويعده المحدثون شيئاً نسبياً.[21]

18- أنيس إبراهيم، **في اللهجات العربية**، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003، ص 15

19- الوافي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر، ط7، ص131

20- حسان تمام، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980، ص186

21- حسيم مينة، **صور ونماذج من اللسان المراكشي الدارج**، منشورات جريدة الآفاق المغربية- مراكش، ط1، 2006، ص31

وإذا كان القدماء قد رأوا في اللهجة تقهقراً وانحطاطاً لغوياً عن لغة الفصحى، فقد أثبتت دراسة اللهجات أن اللهجة ليست تقهقراً ولا انحطاطا لغوياً (*degeneration Linguistic*)، وإنما هي تقدم لغوي فرضته التحولات التي تتحكم في مصير كلّ لغة، والدليل على ذلك هو أن اللهجات سبق بعضها اللغة الفصحى في الزمن.[22] وتفيد مجموعة من القرائن أن العربية المشتركة التي نزل بها القرآن تطورت من لغات محكية (عامية) كانت سائدة قبل الإسلام بزمن طويل، ثم تقاربت فيما بينها لأسباب تاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية، وتحولت لغات القبائل إلى لغة مشتركة هي لغة الكتابة التي وجدناها في الشعر الجاهلي والنقوش والرسائل، وفي كتابة المصاحف والأحاديث، واستقرت على مثال معين هو الذي نعرفه اليوم نتيجة التدوين الذي يحافظ على تثبيت أوضاع اللغة لآجال مديدة، يصعب فيها أن تتأثر اللغة بما يعرض لها من ظروف في الزمان أو المكان[23]. والرسم الآتي يوضح ذلك:

علاقة اللغة باللهجات المحلية

فالعلاقة القائمة بين اللغة واللهجة، تتحكم فيها عوامل يمكن حصرها في ما هو جغرافي وثقافي واقتصادي واجتماعي؛ فاللغة غالباً ما يؤثر فيها المتكلمون وفق موقعهم الطبقي في المجتمع ومستواهم التعليمي؛ فمن «العوامل التي تساعد على تكون اللّغيات داخل اللغة المشتركة الواحدة نصيب الشرائح والأفراد من التعليم، فكثيراً ما يوصف المتعلم بأنه يتكلم كما لو أنه يقرأ من كتاب».[24]

واللغة العربية رغم أنها من أعرق اللغات السامية، فإنها لم تسلم من التنوع اللهجي في الاستعمال، وقد حصر علي عبد الواحد وافي الأسباب التي أسهمت في انشعاب اللهجات عن العربية الفصحى في الآتي:

- انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان، يقول علي عبد الواحد وافي:

22 فريحه أنيس، **اللهجات وأسلوب دراستها**، دار الجيل – بيروت، ط.1، 1989، ص 88

23- خليل إبراهيم، المرجع نفسه، ص 72

24- المرجع نفسه، ص65

وقد كان لهذا العامل أثر واضح في اختلاف لهجات هذه المناطق[25] الجديدة بعضها عن بعض واختلافها عن اللسان العربي الأول؛ فقد تأثرت اللغة العربية في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة، وانحرفت في ألسنة أهلها انحرافاً خاصًّا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة ومناهج ألسنتهم الأولى، وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق بألسنة أهلها، فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة عربية تختلف عن لهجة غيرها، وتختلف عن اللغة العربية الأولى. فالعربية في الشام مثلا متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة، وفي المغرب باللهجات البربرية التي صرعتها العربية في هذه البلاد[26].

- عوامل اجتماعية سياسية، ومنها استقلال البلاد العربية بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات.[27]

- عوامل اجتماعية نفسية، وتتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في النظم الاجتماعية والأعراف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان.[28]

ولم يقف علي عبد الواحد وافي عند هذا الحد من الأسباب، بل أضاف أسبابا أخرى يمكن اختزالها في ما هو جغرافي وما هو شعبي جنسي، وما تعلق بأعضاء النطق والتطور الطبيعي المطرد لها، وانتقال أصوات جديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية، وانتهى الباحث إلى أن هذه اللهجات تجردت من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات في العربية الفصحى، حيث يتم النطق بكلمات مسكنة الأواخر.

نخلص مما تقدم، إلى أن المتكلم بإمكانه ممارسة حديثه اليومي باللهجة الخاصة به؛ أي لهجة بيئته الاجتماعية، ويمكنه استعمال اللغة في ما هو ثقافي يتعلق بمحاضرة أو خطبة دينية أو كتابة مقال أو تأليف كتاب. وهذا يعني أن المتكلم يمارس ازدواجية في الأداء اللغوي «Diglossia»، ويمكن توضيح ذلك وفق الترسيمة التالية:

الازدواجية اللغوية

المتكلم

/ \

اللغة (للكتابة والخطب الرسمية) **اللهجة (الحديث اليومي)**

25- يقصد بها بلاد اليمن والشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا، حيث كانت اللغات اليمنية القديمة واللهجات الآرامية والقبطية والبربرية. (انظر الوافي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر، ط7).

26- الوافي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر، ط7، ص133

27- المرجع نفسه، ص 133

28- المرجع نفسه، ص ص 133-134

***- ماذا تريد؟ جملة خضعت لقواعد مشتركة**

*** أشنو بغيتي؟ لهجة عربية مغربية مجردة من الحركات**

*** ما تريت؟ لهجة أمازيغية مغربية**

*** عاوز إيه؟ لهجة عربية مصرية**

- إش تبّي؟ لهجة عربية ليبية

- ما تخساد؟ لهجة أمازيغية ليبية

- إش تبغى؟ لهجة عربية خليجية

***- سأذهب إلى هناك**

- غادي نمشي لهيه/ **مغربية**
- نبّي نمشي غادي/ **ليبية**
- عاوز أمشي هناك/**مصرية**

فالاستعمال اللهجي في عدد من المجتمعات يشي بالتنوع والتعدد، وبالتالي يكون رافداً مهمًّا لإثراء اللغة المشتركة، ومرآة ثقافية تعكس عادات وأعراف بيئة جغرافية معينة. ويجدر التنبيه إلى أن كلّ لهجة من هذه اللهجات تتضمن لُهيجات أخرى؛ ففي المغرب مثلا تختلف لهجة البيضاوي عن لهجة المراكشي وعن لهجة الطنجاوي؛ فكلمة: **أخي** تنطق في الدار البيضاء ب **الخوادري**، وفي طنجة ب **الخاوة**، وفي مراكش ب **خونا**؛ وكذلك كلمة **عيّط**، والتي تفيد النداء في اللهجة العربية المغربية، والبكاء في اللهجة العربية المصرية. كما أن كلمة **جزر** تستعمل في اللهجة الطنجاوية **دجعدة**، وفي وسط المغرب **خِيزّو**، وفي شرقه **قنّاري**، وفي اللهجة العربية التونسية **سْفنّاري**، والشيء نفسه ينطبق على **البيض**، ففي ليبيا يقال له **دَحْي**، وفي تونس يقال له **لَعْظام**. ولأن الشيء لا يعرف إلا بضده، نهجت بعض الاستعمالات اللغوية ذكر الشيء بضده، ومن ذلك كلمة **العافية**، وتستعمل في الدعاء عند أهل المشرق: الله يعطيك العافية، والتي تفيد الصحة، بينما تفيد الكلمة في اللهجة العربية المغربية ضدها، وتستعمل للسبّ والشتم: الله يعطيك العافية؛ أي النار، ولكنه سبّ يراد به علاج لاسترجاع المخاطب عافيته؛ لأن آخر العلاج هو الكيّ بالنار. وينطبق الأمر نفسه على كلمة **فحم**، ففي اللهجة العربية الليبية يذكر بضده، فيقول الليبيون **لَبْياض** بدل الفحم لأنه أسود اللون. وكذلك كلمة جردة؛ فهي تدلّ في اللهجة العربية المغربية على أرض خضراء تملأها الورود والأزهار، خلافاً لمعناها في اللغة العربية الفصحى، الأرض الجرداء أي الخالية والجافة.

وهناك كلمات أخرى تتحول بتحول الظروف الاجتماعية؛ فالكلمة التي يستعملها الأجداد ليست هي الكلمة نفسها التي يستعملها الآباء، وليست هي الكلمة التي يستعملها الأبناء، مثلا كلمة **صديق** خضعت في اللهجة العربية المغربية إلى تحولات في الاستعمال، رغم أنها تحتفظ بنفس المعنى الموجود في اللغة؛

- عند الأجداد: صاحبي؛
- عند الآباء: جمّي؛
- عند الأبناء: عشيري

ويتنوع استعمال عبارة **ما بك؟** من لهجة إلى أخرى؛ ففي اللهجة العربية مصرية يعبّر عنها بـ: **فيه إيه؟** واللهجة العربية الليبية بـ: **خيرك؟** واللهجة العربية المغربية: **مالك؟** وفي اللهجة العربية التونسية: **أش بك؟**

وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على أن الاستعمال اللغوي، يساهم في التنوع والتعدد في إثراء الحقل اللغوي العربي.

2- الازدواجية في الاستعمال اللغوي:

1.2- بين الثنائية والازدواجية اللغويتين:

1.1.2- الثنائية اللغوية (Bilinguisme):

يقصد بالثنائية قدرة الفرد على استعمال لغتين في التعبير؛ وهاتان اللغتان هما لغته الأولى /اللغة الأم، ولغة أجنبية أخرى؛ أي إن الفرد يمتلك قدرة على استعمال مستويين لغويين مختلفين في المستوى التركيبي والصرفي والمعجمي، استعمالاً متعادلاً ومتكافئاً؛ فقانون التطور اللغوي يستوجب الانفتاح عما هو جديد باستمرار، بوصفه من أهم روافد ثراء اللغة وتطويرها.

والثنائية اللغوية في المجتمعات العربية، تعني وجود لغتين متنافستين في الاستعمال لهما منزلة واحدة من حيث الاستعمال الرسمي مثلما هو الأمر في بلاد المغرب والجزائر وتونس، حيث العربية لغة رسمية مشتركة، ولكن تصاحبها اللغة الفرنسية في الاستعمال كذلك، وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية[29]، ولا سيما المتعلمون منهم؛ لأن في هذه البلدان متكلمين غير متعلمين ولا يتقنون الفرنسية؛ كما أن «استعمال إحدى اللغتين المتنافستين من قبل الأفراد داخل المجتمع أو العشيرة اللغوية، يؤشر إلى تباين في المراكز الاجتماعية بين الناطقين بإحدى تلكما اللغتين، وليس إلى معطيات لسانية اجتماعية أخرى».[30] فالثنائية،

29- خليل إبراهيم، المرجع نفسه، ص76

30- جولييت غارمادي، **اللسانيات الاجتماعية**، (ترجمة خليل أحمد خليل)، دار الطليعة بيروت، 1990، ص 308

إذن، تقوم بين الفصحى واللغة الأجنبية.[31]وإذا كان الأمر كذلك، فإن بعض الدارسين كان لهم رأي في بيان الحدود بين مفهومي الثنائية والازدواجية، حيث نظروا إلى المفهومين على أنهما مترادفان، لكن «شارل فرغيسون Charles Ferguson» بيّن الفرق بينهما، وأكد على ظاهرة الازدواجية اللغوية في كتابه «Diglossia»[32]، ليميز بين شكلين متماثلين؛ يقول:

الازدواجية اللغويـة وضـع مستقر نسبياً توجد فيه بالإضافة إلى اللّهجات الرئيسة للّغة (التي قد تشمل علـى لهجـة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة)؛ إذ غالباً ما تكون قواعدها أكثـر تعقيـداً مـن قواعـد اللهجات، وهذه اللغة بمثابة نوع راقٍ يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم، سواء كـان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتّم تعلـم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية[33].

وعلى الرغم من هذا التمييز الذي قدمه شارل فيرغسون، فإن بعض المجتمعات يسود فيها تداخل بين ما هو ثنائي وما هو ازدواجي، وهو ما يشي بوضع تعددي في المجتمع، ومن ذلك شيوع اللغة الفرنسية في كثير من البلدان الإفريقية، حيث تتداخل اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر مع اللغات الدارجة بين السكان الأصليين؛ وبالتالي نتج عن ذلك خليط لغوي *un mélange linguistique*، فتشكل نوع من الازدواجية المفروضة في مقابل ثنائية منشودة، في حين تظل الأشكال اللغوية للسكان الأصليين، تفرض نفسها في أحاديثهم اليومية أو في جلساتهم؛ ذلك أن تلك العاميات تمثل اللغة الأم في لغاتهم الحميمية.[34] ومن ثمة، فإن هذا التداخل يعكس لنا وضعين لغويين؛ وضع ثنائي، ووضع ازدواجي.

2.1.2- الازدواجية اللغوية (Diglossia)

تأتي كلمة «Diglossia» من الكلمة اليونانية (diglŌssos)، استخدمها تشارلز فيرجسون عام 1959، وهو مصطلح لغوي استخدم لوصف وضع لغوي يتم فيه استخدام لغتين أو أكثر، أو تنوع لغوي بطريقة تكميلية داخل المجتمع، حيث ينظر إلى اللغة الأولى كلغة رسمية عالية تستخدم في التعليم والدين والأدب والمناسبات الرسمية، بينما ينظر إلى اللغة الأخرى كلغة غير رسمية ذات مستوى أقل من الأولى، وتستعمل في المحادثات

31 الفاسي الفهري، **اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد**، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1998، ص1- 4

32 *Ferguson. Charles. « **Diglossia** » word; volume 15; 1959 ; P.15*

33- انظر عمارة فوزية طيب، «الازدواجية اللغوية في اللغة العربية»، أقلام الهند مجلة إلكترونية فصلية محكمة، اطلع عليها بتاريخ 2023/07/08 عند الساعة السابعة مساء، المقال متاح على الرابط:

https://www.aqlamalhind.com/?p=1050

34 بونصير سعيد، «سوسيولسانيات المجتمع المغربي؛ إشكال التداخلات اللغوية»، **منشورات الزمن**، العدد 63، سلا- المغرب، أكتوبر 2015، ص 117

اليومية والجلسات الخاصة؛ وهكذا تكون الازدواجية هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة الحديث.[35]

ومن ثمة، فمفهوم ازدواجية اللغة هو مفهوم مفيد في علم اللغة لفهم كيفية استخدام اللغة في سياقات اجتماعية مختلفة، وكيف يمكن للتنوع اللغوي أن يعكس التسلسلات الهرمية الاجتماعية وعلاقات القوة داخل المجتمع.

ويرى عبد القادر عبد الجليل، أن الازدواجية تكون بين لغتين مختلفتين، يقول: إني على غير وفاق مع (أولئك) في استخدامهم لهذا المصطلح [الازدواجية]، إذ إني أرى أن الازدواجية لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية، لا أن نطلقه ونحن نتحدث عن الفصحى والعامية؛ لأنهما فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما فرق فرعي لا جذري، والأصوب ونحن نتحدث عن الازدواجية، أن نستخدم بدلاً منها عند الكلام عن الفصحى والعامية مصطلح «مستوى»، فنقدر المستوى الفصيح، والمستوى العامي.[36]

لذلك، استبدل مصطلح الازدواجية بمصطلح «مستوى»، ووضع للفصحى مستوى، وللهجة مستوى.

والمجتمع الذي يشتمل على ازدواجية لغوية هو مجتمع يمزج مسألة مركبة في الاستعمال اللغوي؛ فاستعمال اللهجة في الحياة اليومية هو استعمال يعكس العادات والتقاليد من خلال المناسبات الاجتماعية والأغاني الشعبية في إطار الحفاظ على وحدة الجماعة، بينما استعمال اللغة الرسمية بوصفها معياراً تتميز به الأمم، هو استعمال يعكس هوية الأمة وكيانها لتكون حاضرة بين الأمم بلغتها وثقافتها؛ وذلك لضمان الاستمرار والتطور والرغبة في التجديد ومسايرة العصر وفق ما يفرضه الركب الحضاري.

2.2- الازدواجية في الحقل اللغوي العربي:

يرتبط الحديث عن الازدواجية في الحقل اللغوي العربي بالحديث عن اللغة العربية الفصحى وما صاحبها من لهجات محلّية، درج مستعملوها على التواصل بها في جلساتهم الخاصة وانشغالاتهم اليومية، خلافاً للغة العربية التي أخذت مستوى عالياً بوصفها لغة مشتركة، تستخدم في الكتابة والمناسبات الرسمية كالخطب الدينية والسياسية والمحاضرات. وعلى الرغم من التمييز في المستوى بين اللهجة والفصحى، فإنهما متعايشتان؛ ذلك أن أرقى درجات العامية يكون مشدوداً إلى أدنى درجات الفصحى؛ فبالنسبة إلى اللغة العربية كان المثل الأعلى في مجال الفصحى هو القرآن الكريم، فإن مستويات التصرف فيها تبقى متراوحة بين الابتذال والإعجاز، وكذلك العامية، فهي تمتد من كلام السوقة وعامة الناس إلى لباقة أعيان القوم وتكلف الظرفاء. هذا مع العلم أن لهجات البدو غير لهجات الحضر التي هي الأخرى (...) والفرق في هذا المجال بين اللغة العربية ومختلف

35 *Marcais W.* ***La diglossie Arabe; l'enseignement public****; vol 97;P. 402*

36 عبد القادر عبد الجليل، «اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة»، **سلسلة الدراسات اللغوية**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 1997، ص 24

لهجاتها المحلية العربية مهما خالطتها الأصوات الأجنبية (مثل الأصوات البربرية في بلاد المغرب أو التركية والفارسية أو الكردية في بلاد المشرق)، ومهما تسربت إليها المفردات والتراكيب الواردة من اللغات الأجنبية التي احتكت بها، فإنها تبقى في هيكلها العام وفي قدرتها على تبليغ المعاني الأساسية وفي أغلب تراكيبها ومفرداتها وصيغها البلاغية قريبة جدًّا من الأنموذج الفصيح.[37]

وتوضيحاً لذلك، يمكن عرض بعض الكلمات من اللهجة العربية المغربية، وهي كلمات عربية فصيحة، لكن درج اللّسان المغربي على استعمالها بنوع من السرعة وإهمال الحركات والسكنات، ومنها:

- نوض؛ وأصلها في العربية الفصحى: انهض
- ديالي؛ وأصلها.....: هذا لي
- ماتريت(أمازيغية).....: ماذا تريد/مماثلة رجعية
- تْسَوْخَرْ؛ .....: تأخر، تراجع إلى الوراء
- نخشرك.....: أخنجرك، الطعن بالخنجر
- بزّاف.....بجزاف، ويقابلها **برشة** أي بركة في اللهجة العربية التونسية، و**وايْد أي** واجد في اللهجة العربية الخليجية.
- إنّور.....: تنّور
- قرّض.....قع أرضاً؛ أي اجلس (وفي اللهجة العربية الليبية قعمز)
- مْسَوّق.....ذهب إلى السوق
- هذرة.....من هذر أي تكلّم الشخص بسرعة (ف اللهجة العربية الليبية: هذرز)
- إيمتى.....متى
- السميقلي.....السم يقلي للدلالة على شدة البرودة، وهو البارد القارس
- قفقف..... إذا ارتعش من كثرة البرد
- مشبوح.....ممدود (شافتو ممدود حسابتو «حسبته» ميلود)
- ضروبة.....بقرة صغيرة السن، ويقال لها عجلة مؤنث عجل، ومن المغاربة من يشترط في زواج ابنته ذبح ضروبة في العرس.
- مّيْعَض.....موضع
- حِنْث.....حيث

37- الفيتوري الشاذلي، «الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية»، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، أبريل 1984، ص 147

والملاحظ، أن اللّهجة العربية المغربية لم تقف عند اللسان العربي؛ فبحكم الجوار اللغوي مع الأمازيغ ولغة المستعمر توسّع رحمها لتأخذ من الأمازيغية ومن اللغات الأجنبية، ولا سيما الفرنسية والإسبانية. ويمكن أن نقيس الأمر نفسه على لهجات عربية أخرى تسرّبت إليها كلمات من لغات أجنبية أخرى.

وإذا كانت اللغة العربية الفصحى هي الوسيلة التعبيرية في الكتابة وفي المناسبات الرسمية، فإن اللهجة التي يستعملها العربي في بيئته الخاصة به، رغم التباين والتنوع، لا تحيد عن النمط الفصيح إلا «في الإعراب وفي المصطلحات الدخيلة التي ما فتئت اللغة العربية منذ زمن بعيد – وخاصة بعد انتشار الإسلام واحتكاك العنصر العربي بعناصر أجنبية مختلفة- تستوعبها بعد تكييفها بالصورة التي تجعلها لا يتلعثم بها اللسان العربي».[38] فالاستعمالات اليومية للهجة الخاصة ببيئة ما، أثرت لا محالة على بناء العربية الفصحى، حيث شاع تسكين الحركات الإعرابية في الفصحى، ما أثر على قواعدها، وأصبح المزج في الاستعمال بين ما هو فصيح وما هو لهجي، وشاع الخطأ في الكتابة وفي التعبير باللغة العربية الفصحى؛ ففي كثير من الأبحاث والمقالات تصادفنا أخطاء كثيرة، وهي أخطاء شائعة منها على سبيل المثال لا الحصر:

جدول يبين بعض الأخطاء الشائعة

الخطأ الشائع	الصواب
إسم	اسم
الإثنين	الاثنين
هام	مهم
حيث أن	حيث إن
إستنتاج	استنتاج
بناءاً	بناءً
إذاً يمكن	إذن يمكن
ثم إنك إذن،	ثم إنك إذاً
شيئ	شيء
مبادؤنا	مبادئنا
صورة	سورة
أستاز	استاذ
الآوان	الأوان
سوم	ثوم

38- المرجع نفسه، ص 148

وقد نضيف إلى ما تقدم، إقحام ألفاظ أجنبية وعلمية في اللغة العربية يوما تلو الآخر، بسبب غياب ما يقابلها في اللغة العربية، وقد ساهم هذا في تغيير أصوات بعض الحروف، مثل P التي تنطق باء، مثل poétique التي تنطق بويطيقا، كما تنطق التاء طاء، مثل Taxi، طاكسي، أو أنطولوجيا وقس على هذا كثير: غرناطة، إشبيلية، البندقية، طابو...[39].

وفي الجانب اللهجي، وعلى سبيل الطرفة، كنت ما زلت في المرحلة الابتدائية، والمدرّس يعلّمنا بعرض الصور، أسماء الزواحف، فاختلط لي الأمر بين ثعبان وحنش، ولما سألني، كان جوابي: «تُحْناشٌ»، حيث جمعت بين وزن ثعبان، وكلمة حنش، ولعل السبب في هذا التلعثم إنما يرتبط بما هو نفسي، وهو الخوف، والشاهد في هذه الطرفة هو أن المتعلم في مرحلة الطفولة يجد صعوبة في اكتساب العربية الفصحى لصعوبة قواعدها، بخلاف اللهجة التي يتلقاها بيسر وسهولة في المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه بوصفها اللغة الأم؛ ما يضعنا أمام لهجات ذات مستويات اجتماعية متفاوتة، بينما تبقى الفصحى مشتركة بقواعدها بين الجميع.

يقول عبد الواحد وافي:

ووجه المشكلة أننا في الأمور الأولى نستخدم اللغة العربية في الصورة التي كانت عليها في بلاد نجد والحجاز وقت أن نزل القرآن، وهي الصورة التي اصطلحنا على تسميتها بالعربية الفصحى، على حين أننا في شؤوننا العادية نستخدم اللغة العربية في الصورة التي انتهى إليها تطورها الطبيعي في لهجات المحادثة (...) ولما كانت هاتان الحالتان أو هاتان اللغتان تختلف كل منهما عن الأخرى اختلافاً بيّناً في كثير من مظاهر أصواتها ومفرداتها ودلالة ألفاظها وأساليبها وقواعدها وتعريف مشتقاتها، فقد ترتب على ذلك أننا نستخدم في تعبيرنا وتفاهمنا أداتين لغويتين، نلجأ إلى إحداهما في بعض شؤوننا، وإلى الثانية في الشؤون الأخرى. وازدواج كهذا يبدو في نظر بعض الناس بمظهر حالة شاذة لا يصح السكوت عليها، وينبغي تدبير وسيلة لعلاجها.[40]

وبفعل التحولات التي شهدتها المجتمعات العربية، ومنها الانفتاح على الثقافات وبالتالي اللغات الأجنبية الأخرى، تعالت بعض الأصوات ونادت بضرورة التجديد والتحديث، واعتماد اللهجة المحلّية لغة رسمية، بوصفها متحررة من كل القيود والقواعد التي حالت دون تطوير العربية الفصحى، بل إن عبد العزيز فهمي (1870-1951) تقدم عام 1944 في «مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية»[41] بمقترح يدعو فيه إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وهو ما أثار ضجة وقتها، ولقي معارضة شديدة من طرف محب الدين الخطيب (1886-1969 سوري الجنسية) وأحمد محمد شاكر الملقب بأبي الأشبال (1892-1958). ولم تقف الدعوة عند هذا الحد، بل إن المغربي نور الدين عيوش نادى بضرورة خلق جسر بين الفصحى واللغة العربية؛

39- انظر الملائكة جميل، «المصطلح العلمي ووحدة الفكر»، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، أبريل 1984، ص242

40- الوافي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر، ط7، ص ص 153-154

41- تقدم بمقترحه في جلستين؛ الأولى بتاريخ 24 يناير، والثانية في 31 يناير 1944

وذلك بإدماج كلمات من اللغة العربية في اللهجة الدارجة تسهيلاً وتيسيراً في الاستعمال، والسبب الذي كان وراء دعوته، إنما يعود - حسب رأيه - إلى أن اللغة العربية لم تعد قادرة على تدريس العلوم، يقول:

كانت العربية لغة العلم في زمن معين، لكنها لم تعد كذلك الآن؛ الكتب العلمية الموجودة بالعربية كتُب مترجمة، وإذا أردنا أن تكون مؤهلة لتدريس العلوم، فعلينا أن نوفر لها الإمكانيات، (...) إن اللغة ليست مشكلا لأن الفرنسية أيضا ليست مهمة جدًّا، ولا تتوفر على رصيد كبير من المؤلفات العلمية مثل الإنجليزية.[42]

وأمام هذه الدعوات التي تنادي بالتغيير، وبفعل التطور التكنولوجي، وشيوع مواقع التواصل الاجتماعي، أصبح الاستعمال اللغوي المتداول بين الأفراد استعمالاً يجمع بين الشفاهي والمكتوب؛ فالشفاهي غالباً ما يكون عبارة عن رسائل صوتية تهيمن فيها اللهجة المحلّية، والمكتوب عبارة عن رسائل نصية مكتوبة بحروف لاتينية أو اللهجة المحلية ونادراً باللغة الرسمية، ما يعني أن التطور التكنولوجي فرض مسألة الكتابة بهذه الصيغة فرضاً، ولتوضيح ذلك أكثر، لا بأس من الوقوف عند نماذج من الرسائل التي كتبت بحروف لاتينية في اللهجة العربية المغربية، ما جعل بعض الحروف العربية أثناء كتابتها باللاتيني، تخضع للتغيير والتحول من حرف إلى رقم، ومنها ما يشمله الجدول التالي:

جدول يبين حروف عربية تحوّلت إلى أرقام

الحرف	الرمز	مثال	المعنى
الحاء	7	7ASSOUB	حاسوب
العين	3	3ARABI	عربي
الخاء	5	5AYR	خير
القاف	9	9AMOUSS	قاموس
الغين	4	4ARIB	غريب
الألف	2	2AMAL	آمال

وفي ما يلي رسالة نصّية كتبت بحروف لاتينية:

BABA SBAH L5AYR; CHOUF HAD LA5ROUF SEFTOU LIA WADI3 LYOUM M3A SBA7; O 9AL LIA TCHOUFOU 2AMAL

42- انظر الراجي محمد، «عيوش يدعو إلى إدماج كلمات من اللغة العربية الفصحى في اللهجة الدارجة»، **هسبريس جريدة إلكترونية**، السبت 16 يناير 2021 - 05:55 متاح على الرابط:

https//:www.hespress.com%/D8%B9%D98%A%D988%%D8%B4%D98%A%D8%AF%D8%B9%D988%%D8%A5%D984%%D989%%D8%A5%D8%AF%D985%%D8%A7%D8%AC%D983%%D984%%D985%%D8%A7%D8%AA%D985%%D986%%D8%A7%D984%%D984%%D8%BA%D8%A9%D8%A7%D984%%D8%B9%D8%B1.766362-html

مفادها بالعربية الفصحى:

صباح الخير بابا، انظر إلى هذا الخروف أرسله إليّ وديع اليوم هذا الصباح، وقال لي أن تراه آمال.

مفادها باللهجة العربية المغربية:

صباح الخير بابا، شوف هذ الخروف لي صيفطو ليَ وديع اليوم في الصباح وقال لي باش تشوفو آمال. (صيفطو كلمة فرنسية احتوتها اللهجة المغربية، وأصلها envoyer)

مفادها باللهجة العربية الليبية:

صباح الخير بابا، اشبح هذ العلّوش بعث به وديع اليوم الصُّبح، وطلب مني تشبحو آمال.

مفادها باللهجة العربية المصرية:

بابا صباح الخير، بُص الخروف ذه، جابو وديع الصبح، وطلب منّي تِبُصْ آمال عليه.

هذا نموذج صغير مما صار متداولاً بين شباب اليوم على هواتفهم الذكية، ما يقودنا إلى تساؤل في غاية الأهمية، وهو: ما أثر هذا التحول على اللغة العربية الفصحى، هل هو إثراء أم إضعاف لها؟

3- تقييم عام:

يرى البعض أن اللغة العربية اليوم تعاني من أزمات تخصّ الوضع اللساني، ومن ذلك مسألة الازدواجية في الاستعمال اللغوي، ما ساهم في عدم قدرة اللغة العربية على مواكبة الحداثة والعلوم والتقنية؛ فاللغة كي تنهض وتحقق الرقي الاتصالي والتواصلي، لا بد أن تتوفر على سلطان اقتصادي وعسكري وآخر ثقافي كعناصر تمنح اللغة قوتها، وهذا ما تحقق للغة العربية زمن ازدهار الدولة الإسلامية وتطورها، ولكن التراجعات التي شهدتها هذه الأمة منذ تفكك الإمبراطورية العباسية، ثم غزوة هولاكو، ثم الحركات الاستعمارية، كلّها عوامل أسهمت في تراجع قوة اللغة العربية؛ إذ لم تعد قادرة على مواكبة بقية اللغات الأخرى التي صعدت وبرزت بفعل العناصر التي سلف ذكرها، وما يجب التأكيد عليه هو أن اللغة العربية لم تتراجع كلغة، وإنما تراجع مستعملوها في إطار الانبهار باللغات الأخرى، على اعتبار أن هذه اللغات هي لغات حديثة ارتبطت بالتقنية والحداثة، فيما تمثل اللّهجة تواصلاً محلّياً في إطار ثقافة محلية يتواصل بها أفراد وسط ما، وتصاحب هذه اللهجة لغة فصحى؛ بمعنى أن اللهجة هي مجموعة من القواعد الخاصة المستعملة بين مجموعة من الناس، بينما اللغة هي مجموعة من القواعد العامة؛ فمثلا الفصحى العربية يتحدثها أكثر من 422 مليون، يمكن أن يصاحبها عدد وفير من اللهجات، علما أن هذه اللهجات تبقى رافداً رئيساً من روافد اللغة، وقد تسهم بعض العوامل التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية في التقعيد للهجة حتى تصبح لغة رسمية،

والدليل على ذلك أن اللغة اللاتينية تفرّعت عنها لهجات تحولت فيما بعد إلى لغات رسمية كما هو الشأن اليوم في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية. أما اللغة العربية، فكانت تجميعاً لمجموعة من اللهجات العربية، وهذا هو السر في التعدد والتنوع الذي تحويه هذه اللغة، وبالتالي وجب علينا إعادة الاعتبار لها عن طريق الإبداع والابتكار، وليس عن طريق التغني بالقديم المجيد؛ فما يعزز دورها ومكانتها كلغة لها مقومات دينية تاريخية وحضارية هو الحرص على سلامة استعمالها وتعميمها وتقوية قدرتها التنافسية، في إطار إبداعي، يضمن التوافق والاستمرار في إطار حواري يفرض القبول كما يفرض الرفض، على اعتبار أن اللغة تمارس التواصل كما تمارس فعل الرفض، وتبقى اللّهجات رافداً من الروافد المعززة للغة، وبالتالي وجب الابتعاد عن كلّ الطروحات التي تسعى إلى خلق حدود بين اللهجة والفصحى، بل وجب القفز بالنقاشات العلمية في المنتديات الفكرية والأكاديمية والعلمية إلى النظر إلى اللغة العربية كظاهرة اجتماعية تجاوزت النخبة، ودشنت بداية طريق للنهوض بلغة رسمت معالم الوجود الحضاري؛ فاللغة مرآة لثقافتها، وبالتالي حفاظاً على مقومات هذه الثقافة الموسومة بالتعدد والتنوع، لا بد من استحضار جميع مكوناتها بكل أصولها وفروعها بغية بناء وطن تحكمه الشمولية التي تنفي كلّ التجاذبات الإيديولوجية. ويدعونا الحديث عن مكونات الثقافة الوطنية، إلى استحضار الطرح الشمولي في البناء لكل ما هو متعدد ومتنوع، على اعتبار أن كل ما هو أصلي وأصيل يبقى داعماً لهذه الشمولية، لكن ما يجب الانتباه إليه هو ما يروج من تحولات قد تمس بهذا الأصيل من اللغة، ونقصد بذلك اللغة الجديدة التي أصبح يتداولها شباب اليوم عبر الرسائل الهاتفية ومواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وتويتر...، حيث تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية وهو ما يجب الانتباه إليه، إذ قد نفاجأ يوماً ما بظهور لغة في ثوب لاتيني جديد تحت مظلة الحداثة والتطور في زمن العولمة. والانتباه هنا لا يعني الدعوة إلى الانغلاق في دائرة ما هو مقدّس، بل إن التجديد تفرضه طبيعة العصر، وبالتالي فتجديد اللغة وفق ما يخدم ثقافتها أمر واجب، كلّما توفرت الشروط الملائمة لذلك.

4- خلاصات ونتائج:

على ضوء ما تقدم، نخلص إلى ما يلي:

أ- إن العلاقة بين اللغة الفصحى واللهجات المستعملة هي علاقة تحكمها سيرورة تاريخية وعوامل جغرافية واجتماعية وثقافية؛ فاللغة واللهجة ليستا مجرد أصوات وعلامات، وإنما هما وسيلتان تعبيريتان تؤثران في المجال الذي يتحرك فيه الإنسان.

ب- إن الازدواجية في الاستعمال اللغوي رافدٌ مهمّ في ضمان استمرارية اللغة الفصحى وتطورها؛ إذ يساعد استثماره على تجاوز تلك النظرة السلبية للهجات بوصفها لغة رديئة أسهمت في فساد اللغة الفصحى؛ فاللهجة واللغة تقوم بينهما قواسم مشتركة، رغم انفراد اللهجات بخصوصيات صوتية وصرفية ومعجمية.

ت- على الرغم من أن الازدواجية اللغوية تسهم في الثراء اللغوي وتنوعه، فإنها تشكل معضلة في العملية التعلمية، حيث يجتمع لدى المتعلم مستويان لغويان؛ الأول فصيح والآخر عامي. لذلك، وجب التعامل مع هذه الإشكالية بالبحث عن حلول مناسبة تقرب المسافة بين ما هو فصيح وما هو عامي قصد تجاوز كل الآثار السلبية التي قد تنجم عن هذه الظاهرة.

ث- استثمار مواقع التواصل الاجتماعي في استعمال لغوي فصيح يخدم ثقافة الأمة وحضارتها، على أن يكون هذا الاستعمال موسوماً بالمرونة تسهيلاً وتيسيراً في التواصل، بعيدًا عن كلّ غموض يثقل من العملية التواصلية ويعقدها؛ وهذا لا يتحقق طبعاً إلا بنهج سياسة لغوية واتخاذ «جملة من التدابير بخصوص ما يجب أن يكون لهذه اللغة من دور تضطلع به في المؤسسات على اختلاف أنواعها».[43]

ج- ضرورة تحرير قواعد اللغة العربية الفصحى من الجمود؛ والحرص على تجديدها لمسايرة الركب الحضاري؛ وذلك باستعمال الخفيف من اللغة والتحرر من كل ما يثقل الاستعمال اللغوي من الكلمات القديمة؛ ففي تحررها تنشيط وتنمية للفكر؛

د- انفتاح العربية الفصحى على محيطها الاجتماعي، واستثمار تنوعها لضمان وحدتها؛ لأن هذا الانفتاح يسمح لها باتباع لغة معاصرة ذات قواعد وخصائص تتماشى مع طبيعة العصر الحديث.

ختاماً، كم هو سخيف رفض المجتمع دون الأخذ بعين الاعتبار حدود اللغة التي نمارس بها فعل الرفض؛ فقد كتب جبران خليل جبران على بابه: دع تقاليدك خارجاً وادخل، فلم يزره أحد من الناس.

43- الفيتوري الشاذلي، «الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية»، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، أبريل 1984، ص165

قائمة المراجع:

1. أنيس إبراهيم، **في اللهجات العربية**، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003

2. بو نصير سعيد، «**سوسيو لسانيات المجتمع المغربي؛ إشكال التداخلات اللغوية**»، منشورات الزمن، العدد 63، سلا- المغرب، أكتوبر 2015

3. حسان تمام، **اللغة بين المعيارية والوصفية**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1980

4. حسيم مينة، **صور ونماذج من اللسان المراكشي الدارج**، منشورات جريدة الآفاق المغربية- مراكش، ط1، 2006

5. حمداوي جميل، **اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي**، دار الريف للطبع والنشر، الناظور-المغرب، ط2، 2020

6. الجاحظ، أبو عثمان، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، الجزء الأول، باب البلاغة، طبقات الكلام.

7. الجاحظ، أبو عثمان، **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، الطبعة 6

8. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، دار الكتب المصرية، تحقيق محمد علي النجار، الجزء 1، المكتبة العلمية.

9. خليل إبراهيم، **مدخل إلى علم اللغة**، دار المسيرة، ط1، 2010

10. دي سوسير فرديناند، **علم اللغة العام**، (ترجمة. يوئيل يوسف عزيز)، دار آفاق عربية، بغداد، 1985

11. الراجي محمد، «عيوش يدعو إلى إدماج كلمات من اللغة العربية الفصحى في اللهجة الدارجة»، **هسبريس جريدة إلكترونية**، السبت 16 يناير 2021 - 05:55 متاح على الرابط:
https://www.hespress.com/%D8%B9%D9%8A%D9%88%D8%B4%D9%8A%D8%AF%D8%B9%D9%88%D8%A5%D9%84%D9%89%D8%A5%D8%AF%D9%85%D8%A7%D8%AC%D9%83%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%AA%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1-766362.html

12. صبري إبراهيم السيد، **علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه**، دار المعرفة الجامعية، 1995

13. طيب فوزية عمارة، «الازدواجية اللغوية في اللغة العربية»، **أقلام الهند**، مجلة إلكترونية فصلية محكمة، اطلع عليها بتاريخ 2023/07/08 عند الساعة السابعة مساء، المقال متاح على الرابط:
https://www.aqlamalhind.com/?p=1050

14. عبد القادر عبد الجليل، «اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة»، **سلسلة الدراسات اللغوية**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، 1997

15. عبده الراجحي، **اللغة وعلوم المجتمع**، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، ط 2، 2004م

16. غارمادي جولييت، اللسانيات الاجتماعية، ترجمة خليل أحمد خليل- دار الطليعة بيروت، 1990

17. الفاسي الفهري، **اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد**، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط 1998

18. الفيتوري الشاذلي، «الأسس النفسية والاجتماعية للغة العربية»، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، أبريل 1984

19. فريحه أنيس، **اللهجات وأسلوب دراستها**، دار الجيل – بيروت، ط.1، 1989

20. الكواز محمد كريم، **علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات**، الطبعة الأولى، 1426 / 2005

21. الملائكة جميل، «المصطلح العلمي ووحدة الفكر»، **اللغة العربية والوعي القومي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، أبريل 1984

22. مولود قاسم، **اللغة والشخصية في حياة الأمم**، مطبعة البحث، 1974/1973

23. هادي نهر، **اللسانيات العربية عند العرب**، دار الأمل للنشر والتوزيع، طبعة الأولى، 1998

24. الوافي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط1، 194

المراجع الأجنبية:

25. *Ferdinand de Saussure,* ***cours de linguistique générale****, GENEVE,2005*

26. *Ferguson. Charles.* « ***Diglossia*** » ***word****; volume 15; 1959*

27. *Marcais W.* ***La diglossie Arabe; l'enseignement public****; vol 97*

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com